الفصل الثاني
التفسير في عصر الصحابة

أ ـ علم الخلفاء الراشدين بالقرآن الكريم :

عصر الصحابة رضوان الله عليهم يبدأ بالخليفة أبي بكر الصّديق رضي الله عنه .

١ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

هو الخليفة الأول ، بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى استخلفه النبيّ صلى الله عليه وسلم في مرض موته ، ثم بايعه الصحابة في يوم الاثنين ، ومدة خلافته سنتان وأربعة أشهر إلا عشر ليال .

(١)

وأبو بكر أول من جمع القرآن في مصحف ، وأشار بجمعه . ويردّ أبو الحسن الأشعري على بعض الرّواة الذين يزعمون أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن من حفظة القرآن بدليل لا يردّ وهو " أنه صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى ، وأكثرهم قرآنًا " وتواتر أنه قدّمه للإمامة . . وإذا كان أقرؤهم يكون أعلمهم ، إذ كان عندهم الإقراء العلْم كما قال الشافعيّ رضي الله عنه : إن الأفضلية في القراءة تستلزم الأفضلية في العلم " (٢)

ويَخْتِمُ صاحبُ « مفتاح السعادة » حديثَه عن علم أبي بكر رضي الله عنه بالقرآن بقوله : " وكيف يرضى مسلم أن ينفي فريضة حفظ القرآن ـ الذي هو أشرف الفضائل ـ من رجل ، قال فيه سيّد البشر :

---

(١) انظر قصة هذا الجمع في مقدمة معجم القراءات . (٢) انظر مفتاح السعادة ٢، ٦، ٧

" ما طلعت شمسٌ ولا غربت على أحد بعد النّبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر " (١)

ومع هذا الفضل الكبير لأبي بكر من حيث حفظه القرآن الكريم ، وعلمه به ، فقد وقف أمام كلمات من غريب القرآن ، لم يعرف لها معنًى ، وخوفًا من أن يعطي هذه الكلمات معاني قد لا تكون مرادة توقّف عن هذا التفسير تحرّجًا من أن يقول في كتاب الله من غير علم

فقد سئل رضي الله عنه عن قوله تعالى : (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا) (٢).

فقال : أيّ سماء تُظِلّني ، وأي أرض تُقِلُّني ، إن قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم " . (٣)

٢ – عمر بن الخطاب :

هو أول من سُمّي أمير المؤمنين ، وأول من لقّب نفسه بهذا اللقب ، ذلك لأن الناس كانوا يقولون له : خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا أمر يطول سيّما بعدي ، فقال : أنتم المؤمنون وأنا أميركم "

واستشهد يوم الأربعاء لأربع بَقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وعشرة أيام .

---

(١) انظر مفتاح السعادة ٢ / ٦ ، ٧ .
(٢) النساء ٨٥
(٣) مقدمتان في علوم القرآن : ١٨٣ .

علم عمر بالقرآن الكريم :

قال صاحب مفتاح السعادة : " وردت الرواية عنه في حروف القرآن، (١)

وقال أبو العالية الرّياحي بسند صحيح : قرأت القرآن على عمر أربع مرات "

٣ - عثمان بن عفان :

كان عثمان بن عفان أصغر من النبيّ صلى الله عليه وسلم بست سنين ، قتل شهيداً مظلوماً في داره يوم الأربعاء ، وقيل يوم الجمعة بعد العصر ، وكان صائماً ثامن عشر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين . وله اثنتان وثمانون سنة على الصحيح .

علم عثمان بالقرآن :

في عهده وحد المصحف ، ونسب إليه هذا التوحيد باسم المصحف العثماني ، وكان عملاً رائداً ، لأنه سدّ باب الفتنة بين المسلمين ، وجمع الأمّة كلها على مصحف واحد .

ولعلمه بالقران يتحدّث صاحب " مفتاح السعادة " فيقول : " وعرض عليه القرآن المغيرة بن أبي شهاب المخزوميّ ، وأبو عبد الرحمن السلميّ ، ورزين بن حُبَيْش ، وأبو الأسود الدّؤلي)"

٤ - علي بن أبي طالب :

أمير المؤمنين ، وأحد السّابقين الأولين : بويع له بالخلافة يوم قتل عثمان رضي الله عنه ، وقتل بعده بخمس سنين ، ومناقبه أكثر من أن تحصى . ضربه عبد الرحمّن بن ملجم صبيحة سابع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة بالكوفة .

---

(١) انظر الحديث عن عمر في مفتاح السعادة ٢ / ٨ .

(٢) مفتاح السعادة ٢ : ٨ ، ٩ .

علم علي بالقرآن :

روي عن أبي عبد الرحمن السلّمي أنه قال : " ما رأيت أقرأ من عليّ ، "وقد عرض عليه القرآن أبو الأسود الدؤلي ، وعبد الرحمن السلّمي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى "[1]

هؤلاء الخلفاء الأربعة الراشدون إلى جانب مسئولياتهم الضخمة عاشوا في حقل القرآن الكريم دارسين وقارئين .

---

(١) مفتاح السعادة ٩ / ١٠ .

obeikandl.com

ب ـ علم الصحابة بالقرآن الكريم :

أما الصحابة الذين اشتهروا بالقرآن الكريم إلى جانب الخلفاء الراشدين فأبرزهم : أبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعريّ ، وسألقي الضوء في إيجاز عن مكانة كل منهم في حقل القرآن الكريم :

١ - أبي بن كعب :

هو سيد القراء بالاستحقاق ، وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق . وقد بين صاحب « مفتاح السعادة » أنه قرأ على النبيّ صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم ، وقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعض القرآن للإرشاد والتعليم .

وروي أبو قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" أقرؤهم أبي بن كعب "

ومن الصحابة الذين قرءوا عليه القرآن ابن عباس ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن السّائب .

ومن التابعين الذين قرءوا عليه القرآن : عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ، وأبو العالية الرّياحي .

وقد اختلف في تاريخ موته اختلافًا كثيرًا ، فقيل سنة تسع عشرة ، وقيل سنة عشرين ، وقيل سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل قبل مقتل عثمان بجمعة أو بشهر . (١)

---

(١) انظر في ترجمته مفتاح السعادة ٢ / ١٠

٢ – زيد بن ثابت :

هو كاتب النبيّ صلى الله عليه وسلم وأمينه على الوحي . وقد أسهم في كتابة المصحف على عهده صلى الله عليه وسلم ، وأسهم أيضًا في كتابته في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم اعتمد عليه عثمان رضي الله عنه في كتابة المصحف العثماني الموحّد ، وقد عرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن الصحابة الذين قرءوا القرآن عليه أبو هريرة وابن عباس . ومن التابعين : أبو العالية الرِّياحي ، وتوفي سنة خمس وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين . (١)

٣ – عبد الله بن مسعود :

هو أحد السابقين والعلماء الكبار من الصحابة .

عرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أوّل من أفشى القرآن من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : حفظت من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وسبعين سورة .

وكان يَحْترمُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ويلزمه ، ويَحْمِل نعله ، ويتولى فراشه ووساده وسِواكه وَطهورَه ، وكان صلى الله عليه وسلم يُطْلِعهُ على أسراره ونجواه ، وكانوا لا يفضلون عليه أحدًا في العلم .

وكان مع ذلك هو الإمام في تجويد القرآن الكريم ، وتحقيقه وترتيله مع حسن الصوت ، حتى قال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) مفتاح السعادة ٢ / ١١ .

« من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنْزِل فليقرأ قراءة أم عبد »
وقال ابن مسعود عن نفسه : " والذي لا إله غيره : لو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تُبلغنيه الإبلُ لرحلت إليه " (١)

٤ – أبو الدرداء :

هو أحد الذين جمعوا القرآن حفظًا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف ، وأبو الدرداء أول قاض ولي قضاء دمشق .
قال سُوَيد من عبد العزيز : كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس عليه للقراءة فكان يجمعهم عشرةً عشرةً ، وعلى كل عشرة عَرِيفًا ، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفهم ، فإذا غَلِط عريفهُم رجع إلى أبي الدّرداء فسأله عن ذلك .

وكان ابن عامر عريفًا على عشرة ، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر .
وتحدث مسلم بن مشكم عن عدد من قرأ علي أبي الدرداء بأمره فقال : عددت من قرأ على أبي الدرداء بأمره ألفًا وستمائة ونيفًا ، وكان لكل عشرة منهم مقرئ . (٢)
توفى رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين ، ولم يَخْلُفْ بعده بالشام مثله

٥ – أبو موسى الأشعري :

حفظ أبو موسى الأشعري القرآن الكريم وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم وكان من نجباء الصحابة ،

---

(١) مفتاح السعادة ٢ : ١١ ، ١٢ . (٢) انظر ترجمته في مفتاح السعادة ٢ / ١٢

ومن أطيب الناس صوتًا بالقرآن ، سمع النبي صلى الله عليه وسلم قراءته فقال : " لقد أوتى هذا مزمار آل داود "
وكان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكّرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده . توفي في ذي الحجة سنة أربع وأربعين على الصحيح ، وقيل سنة ثلاث وخمسين . (١)

٦ – ابن عباس :

هو بحر التفسير ، وحَبْر الأمة الذي لم يكن على وجه الأرض في زمانه أعلم منه .
حفظ المحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عرض القرآن الكريم كله على أبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت .
ومن الذين عرضوا عليه القرآن مولاه درباسٌ ، وسعيد بن جبير ، وسليمان بن قَتّه وعكرمة بن خالد ، وأبو جعفر يزيد بن قعقاع .

دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " اللهم علمه التأويل وفقهّه في الدين ، وروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس أنه كان يقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت إلا ثمانية عشر حرفًا أخذها من قراءة ابن مسعود .

وقال عنه عمرو بن دينار : ما رأيت مجلسًا قط أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس للحلال والحرام ، وتفسير القرآن ، والعربية والشعر . توفي بالطائف وقد كف بصره سنة ثمان وستين ، وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وقال : " اليوم مات ربّانيّ الأمة " رضي الله عنه (٢)

---

(١) انظر ترجمته في مفتاح السعادة ٢ / ١٣ .
(٢) مفتاح السعادة ٢ / ٤ .

٧ – أبو هريرة :

هو عبد الرحمن بن صخر الدّوسيّ الصحابي الكبير عرض عليه القرآن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبو جعفر . (١)
وكان يجزئ الليل ثلاثة أجزاء : جزء للقرآن ، وجزء للنّوم ، وجزء يتذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفي سنة سبع ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وله ثمان وسبعون سنة

هؤلاء هم كبار الصحابة في حقل القرآن الكريم قراءة ، وتلقيًا . ومما لا شك فيه أنه تبدو أثناء القراءة أو التلقي أو العرض مشكلات في الألفاظ الغريبة ، والمعاني التي لا تتضح من أول وهلة ، فيتناقشون في معانيها ، وحلّ مشكلاتها .

ولا غرو فهؤلاء هم أساتذة المدرسة القرآنية في عهدهم الزاهر ، وهم قريبو عهد بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان بين ظَهْرانَيهمْ ليرجعوا إليه في حلّ مشكلاتهم القرآنية أفرادًا أوغير أفراد ، فكان يفسّر ويوضح ، ويحتفظ الصحابة بهذه التفسيرات لتكون أثرًا ورواية ينقلها بعضهم عن بعض ، ثم يتلقاها الخَلَف عنهم .

---

(١) مفتاح السعادة ٢ / ١٤ .

جـ - سمة الغريب في عهد الصحابة :

هذا وقد حفلت كتب التفسير بآراء متعددة للصحابة في مجال تفسير غريب القرآن .

على أن الاعتناء بالغريب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة كان في محيط الألفاظ التي لها علاقة بالعقيدة والشريعة ، وأما الألفاظ الأخرى التي لا حاجة لمعرفة غريبها ، ولا يتوقف على الجهل بهذا الغريب الجهل بحكم شرعي أو أمر ديني فإن معرفة الغريب لهذه الألفاظ يعتبر ترفًا علميًا .

ولهذا فإننا نجد أبا بكر رضي الله عنه حينما سُئل عن قوله تعالى : (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا) (١)
فقال : أيّ سماء تُظلّني ، وأيّ أرض تُقلّني ، إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم " (٢)

وعمر بن الخطاب سار على هذا النهج ، فقد حدثنا " أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ : (فَاكِهَةً وَأَبًّا) (٣)
قال : ما الأبّ ؟ ثم قال : ما كلّفنا هذا ، أو قال : ما أمرنا بهذا .
وفي رواية أخرى ، قال عمر : نُهينا عن التعمقّ والتكلّف :
وقد اشتهر أن عمر أدّب صَبيغ حين كان يُكثر السؤال عن المرسلات والعاصفات ونحوهما . (٤)

---

(١) النساء : ٨٥ .
(٢) مقدمتان في علوم القرآن : ١٨٣
(٣) عبس : ٣١
(٤) انظر الموافقات للشاطبيّ ٣ / ٦٠ ، ٦١

ويعلل الشاطبيّ في " الموافقات " توقف عمر عن الجرَي وراء ألفاظ الغريب لأنها لا تتعلق بأمر تكليفي أو حكم شرعي ، فالبحث عنها ضياع للوقت ، واشتغال بما لا حاجة إليه فيقول :

" وظاهر هذا كله أنه إنما نهى عنه ، لأن المعنى التركيبيّ معلوم على الجملة ، ولا ينبني على فعل هذه الأشياء حكم تكليفي ، فرأى أن الاشتغال به عن غيره مما هو أهمّ منه تكلف .

ولهذا أصل في الشريعة نبّه عليه قولُه تعالى : (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ)[1] إلى آخر الآية .

ويوضح الشاطبي أن المعنى التركيبي للآية إذا لم يفهم إلا بمعرفة معنى اللفظ الإفرادي كان فَهْمُ معنى اللفظ الإفرادي واجب لتوقف المعنى التركيبي عليه .يقول الشاطبيّ :

" فلو كان فهم اللفظ الإفراديّ يتوقف عليه فهم التركيبي لم يكن تكلفًا ، بل هو مضطر إليه ، كما روى عمر عن نفسه في قوله تعالى :

(أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ)[2] ، فإنه سأل عنه على المنبر ، فقال له رجل من هُذيل : التخَوف عندنا : التنقصّ ثم أنشده :[3]

تَخوَّف السّير فيها تامكاً قردًا كما تَخوَّف عُود النبعة السَّفَنُ

فقال عمر : " أيها النّاس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم " .

---

(١) البقرة : ١٧٧ (٢) النحل : ٤٧

(٣) قاله ابن مقبل ، والسفن الجديدة التي تبرد بها القسي أي تنقص كما تأكل هذه الحديدة خشب القسيّ ، وانظر اللسان : خوف .

ويعلق الشاطبي على ذلك بقوله : « فليس بين الخبرين تعارض ، لأن هذا قد توقف فهم معنى الآية عليه بخلاف الأول » (١)

د - أساتذة تفسير الغريب في عصر الصحابة :

في عصر الصحابة ظهر رجال في مدرسة تفسير غريب القرآن الكريم بخاصة ، والتفسير بعامة .

ومن هؤلاء الرجال :

١ ـ عبد الله بن مسعود :

الذي تحدّث عنه مسروق فقال : " انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ستة : عمر ، وعلي ، وعبد الله بن مسعود ، وأبيّ بن كعب ، وأبو الدرداء ، وزيد بن ثابت ، ثم انتهى عِلْمُ هؤلاء إلى رجلين ، علي ، وعبد الله "

وقد شهد علي كرم الله وجهه لابن مسعود في مضمار تفسير القرآن والعلم بالسنّة فقال : فقد روي أنه قيل لعلي : أخبرنا عن ابن مسعود قال : " عِلْمُ القرآن والسُّنة " (٢)

٢ ـ علي بن أبي طالب :

ذكر السّيوطي في " الإتقان " عن أبي الطفيل قال : شهدت عليًا يخطب وهو يقول : سلوني ، فوالله لا تسألون عن شيء إلا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم : أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سَهْل أم في جبل ؟ " (٣)

---

(١) الموافقات ٣ / ٦١ (٢) انظر ترجمة ابن مسعود في أسد الغابة ٣/٢٥٦ ـ ٢٦٠

(٣) الإتقان ٢ / ١٨٧

وعن أبي بكر بن عيّاش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن عليّ قال : « والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت ؟ وأين أنزلت ؟ إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً ، ولسانًا سؤلاً » (١)

واشترك مع هذين العلمين : أبّي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري .

وقد تحدثت سابقًا في إيجاز عن علم كل فرد من هؤلاء الأفراد أما الخلفاء الأربعة فأكثر من روى عنه عليّ بن أبي طالب .

قال السّيوطي : والرواية عن الثلاثة نَزْرة جدًا ، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم ، كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر للحديث ، ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثارًا قليلة جدًا ، لا تكاد تجاوز العشرة " (٢)

ومن الحق أن نقرر أن أبرز علَم ظهر في عصر الصحابة في مجال تفسير غريب القرآن الكريم هو عبد الله بن عباس ، وسنخصه بمزيد من البحث .

---

(١) انظر الإتقان ٢ / ١٨٧ ، وانظر ترجمته في أسد الغابة ٤ / ١٦ – ٢٠ .
(٢) الإتقان : ١٨٧/٢

٣- عبد الله بن عباس حامل لواء تفسير غريب القرآن الكريم :

دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " اللهم فقهه في الدّين ، وعلمه التأويل "

وعن الحسن قال : إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل كان عمر يقول : ذاكم فتى الكُهول ، إن له لسانًا سؤلاً ، وقلبًا عقولاً . (١)

وابن عباس حلاّل للمشكلات القرآنية ، فقيه بدلالات الكلمات الغريبة ، فإذا ما عرضت مشكلة أوحدثت واقعة في محيط القرآن الكريم ، ووقف الصحابة إزاءها حائرين لجئوا إلى ابن عباس ليحل الإشكال ، ويفتي فيما استعصى عليهم فهمه ومن الأدلة على ذلك :

أ - أن ابن عمر أتاه رجل يسأله عن معنى الآية الكريمة :

(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) (٢) ، والإشكال في هذه الآية هو غموض لفظ " رتقًا " . ولم يستطع ابن عمر أن يقف على معنى هذه الكلمة فقال لسائله : « اذهب إلى ابن عباس فاسأله ، ثم تعالَ أخبرني ، فذهب فسأله ، فقال كانت السموات رتقًا لا تُمْطِرُ ، وكانت الأرض رتقًا لا تَنبتُ ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنّبات ، فرجع إلى ابن عمر ، فأخبره ، فقال : قد كنت أقول : ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن قد علمت أنه أوتي علمًا " (٣)

---

(١) الإتقان ٢ / ١٨٧ . (٢) الأنبياء : ٣٠

(٣) المصدر السابق والصفحة .

ب ـ وكان عمر بن الخطاب يعرف لابن عباس قدره ، ومكانته في تفسير القرآن الكريم ولا أدل على ذلك من حديث البخاريّ الذي رواه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : " كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدْر ، فكأن بعضهم وَجِدَ في نفسه ، (١) فقال : لم يدخل هذا معنا ، وإن لنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن علمتم ، فدعاهم ذات يوم ، فأدخله معهم ، فما رأيت أن دعاني فيهم يومئذ إلاّ ليريهم ، فقال : ما تقولون في قوله تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (٢) ، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ، ونستغفره إذا نصرنا ، وفتح علينا . وسكت بعضهم ، فلم يقل شيئًا ، فقال لي : أكذلك تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجَلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال : إذا جاء نصر الله والفتح ، فذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان توابا ، فقال عمر ، لا أعلم منها إلاّ ما تقول " (٣)

جـ – وأخرج أيضًا عن طريق ابن أبي مُلَيكة عن ابن عباس قال : قال عمر ابن الخطاب يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فيمن ترون هذه الآية نزلت : (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) (٤)

قالوا: " الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا : نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء ، فقال يا بن أخي : قل ، ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل ، فقال عمر : أيّ عمل ؟ قال ابن عباس : لرجل غنّى يعمل بطاعة الله ، ثم بعث له الشيطان ،

---

(١) وجد في نفسه : أي كره وغضب مَوْجدة ووجدانًا . (٢) النصر : ١
(٣) الإتقان : ٢ / ١٨٧ (٤) البقرة : ٢٦٦ .

فعمل بالمعاصي حتى أغْرَق أعماله " [1]

د ـ وقد أفتى ابن عباس في تحديد ليلة القدر بفتوى تدل على وعي كامل بأساليب القرآن وفقه الإسلام ، والإحاطة ببدائع قرآنية لم يصل إليها أحد في عصره .

من ذلك ما تحدّث به محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس قال : « إن عمر بن الخطاب جلس في رهط من المهاجرين من الصحابة ، فذكروا ليلة القدر ، فتكلّم كلّ بما عنده ، فقال : عمر مالك يابن عباس صامت لا تتكلم ! ، تكلم ، ولا تمنعك الحداثة ، قال ابن عباس : فقلت : ياأمير المؤمنين : إن الله وِتر ، يحب الوِتر ، فجعل أيام الدنيا تدور على سبع ، وأعطى المثاني سبعًا ، ونهى في كتابه عن سبع ، ونقع في السجود من أجسادنا على سبع ، وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة سبعًا ، وبين الصفا والمروة سبعًا ، ورمي الحجار بسبع ، فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان ، فتعجب عمر ، فقال : ما وافقني فيها أحد إلاّ هذا الغلام الذي لم تستو شئون رأسه ، ثم قال يا هؤلاء مَن يؤدّيني في هذا كأداء ابن عباس " ؟ [2]

---

(١) الإتقان ٢ / ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(٢) الإتقان : ٢/١٨٨

نبوغ ابن عباس وأسبابه :

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الموقف : ما الأسباب التي جعلت ابن عباس نابغة زمانه ، وحبْر أمته في علم التفسير والغريب ؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول : إن أسباب نبوغه ترجع إلى ما يأتي :

١ ـ ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه ، وتربيته في بيته فتّحت ذهنه إلى وقائع وأحداث لم تتح لغيره من الصحابة ، ولذلك كان على وعي تام بما يدور حوله من معاني القرآن وتفسيره ، ولقد دعا له النبي عليه السلام فقال : " اللهم فقهه في الدين ، وعلّمه التأويل " (١)

٢ ـ معظم الصحابة كانوا مشغولين بالغزوات والجهاد فلم يتح لهم من فرص اللقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم وملازمته كما أتيح ذلك لابن عباس الذي كان صبيًا مميزًا ، ولا هم له إلا التحصيل العلمي من منبع العلم والمعرفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لحق بالرفيق الأعلى ، ولابن عباس من العمر ثلاث عشرة سنة " (٢)

٣ ـ كبار الصحابة كانوا يعرفون لابن عباس منزلته ، وقد رأينا طرفًا من ذلك في الأمثلة السابقة التي كان عمر بن الخطاب يرجع فيها إلى ابن عباس رغم حداثة سنه ، ويشيد به أمام الكبار من الصحابة ، ويكفي ابن عباس في مجال العلم بالقرآن أن عليًا كرم الله وجهه الذي رضع من لبان النبوّة ، وتربىّ في بيت محمد صلى الله عليه وسلم والذي كان يقول عنه النبي صلى الله عليه وسلم : " أنا مدينة العلم ،

---

(١) الإتقان : ٢ / ١٨٧

(٢) انظر ترجمة ابن عباس في : أسد الغابة جـ ٣ / ١٩٢ ـ ١٩٥

وعليّ بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه " [1]

أشاد به إشادة رائعة ، فقد روى الأعمش عن أبي وائل قال : استخلف عليّ عبد الله بن عباس على الموسم ، فقرأ في خطبته سورة " البقرة " وفي رواية سورة : " النور " ففسرها تفسيراً لوسمعته الرّوم والترك والديلم لأسلموا .

وكان عليّ ابن أبي طالب يثني على تفسير ابن عباس ويقول : " كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق "

٤ ـ ومن أسباب نبوغه أيضًا أنه وإن فاته طول الصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم حيث توفي صلى الله عليه وسلم وابن عباس في سن الحداثة ، فقد صحب كبار الصحابة الذين لازموا الرسول صلى الله عليه وسلم مدة طويلة ، وشربوا من معين العلم الفيّاض ما شربوا فأفاد منهم الشيء الكثير .

٥ ـ إلمامه الواسع بلسان العرب ، ومعرفته الدقيقة بالشعر الجاهلي ، وإحاطته بأساليب البلغاء ، ولغات الأعراب ، كل ذلك مكنه من أن يكون نسيج وحده في باب التفسير والغريب .

٦ ـ حبه للعلم ، والتفاني في سبيل تحصيله ، والبحث عن المجهول صفات مميّزة لشخصية ابن عباس ، ولا أدلّ على ذلك من هذا الموقف الرائع الذي تحدثت عنه الرّواة ، فقد رووا عن ابن عباس أنه قال : « وجدت عامة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الأنصار ، فإني كنت لآتي الرجل ، فأجده نائمًا ، لو شئت أن يوقظ لي لأوقظ

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ١١ . (٢) انظر أسد الغابة جـ ٢ / ١٩٢ ـ ١٩٥

فأجلس على بابه تَسفي على وجهي الريح حتى يستيقظ متى ما استيقظ ، وأسأله عمّا أريد ، ثم أنصرف "

علام يدل هذا ؟ إنه يدل من دون شك على أن ابن عباس طالب علم ، يبذل ما في وسعه ما يبذل ، ليصل إليه مهما لقي من المتاعب ، وذاق من المصاعب ، فكل ذلك يهون من أجل شرف الغاية ، ونور العلم ، وفهم الإسلام . (١)

مصادر تفسير غريب ابن عباس :

قلت سابقًا عند الحديث عن أسباب نبوغ ابن عباس : إنه تربىّ منذ الصغر في أحضان العلم والمعرفة ، وقد أشرت إلى المصادر التي تلقى عنها ابن عباس علمه ، ونوجز هذه المصادر فيما يلي :

١ ـ الرسول صلى الله عليه وسلم هو المصدر الأول لعلم ابن عباس ، فقد لازمه طوال حياته منذ أن كان صبيًا مميزًا .

٢ ـ ملازمته لكبار الصحابة ، وأخذه عنهم ، وإفادته منهم ، ليعوض ما فاته من صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت هذه الصحبة قصيرة حيث توفى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو صغير .

٣ ـ اشتغاله بالقرآن الكريم ، وطول النظر فيه هيأ له وسائل الاجتهاد ، والمثل على ذلك ما تقدم من اجتهاده بطول النظر في القرآن في ليلة القدر .

---

(١) انظر أسد الغابة جـ ٢ / ١٩٢ ـ ١٩٥ .

٤ ـ الأنصار : تتلمذ عليهم ابن عباس ، لأن عامة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندهم ، والقصة السابقة تؤيد ما أقول .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا : هل ابن عباس أخذ عن اليهود في تفسيره للقرآن أو الغريب ، هذه قضية نتناولها فيما يلي :

قضية أخذ ابن عباس عن اليهود الذين أسلموا :

من اليهود الذين أسلموا كعب الأحبار ، وعبد الله بن سلام ، لقد أسلم هذان وغيرهما وكانا على علم بالتوراة والإنجيل كما كانوا على علم بعد إسلامهما بالقرآن والحديث . وقد أشار إلى هذا الأخذ من اليهود الذين أسلموا ، وأنهم مصدر من مصادر العلم بالنسبة لابن عباس ، أشار إلى ذلك " جولد زيهر " في كتابه « المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن » .

وخلاصة رأي هذا المستشرق :

أن ابن عباس كان يرجع إلي رجل يسمّى أبا الجلد غيلان بن فروة الأزديّ ، وغيلان هذا أثنى عليه ابن عباس ، لأنه كان يقرأ الكتب

وشهادة ميمونة ابنة ابن عباس تؤكد أن ابن عباس كان على علم بالتوراة وأن هذا العلم وصل إليه عن طريق اليهود الذين أسلموا . قالت ميمونة : كان أبي يقرأ القرآن في كل سبعة أيام ، ويختم التوراة في ستة يقرؤها نظراً ، فإذا كان يوم ختمها حُشِد لذلك ناسٌ ، وكان يقول : كان يقال : تنزل عند ختمها الرحمة "

ولم يقتصر أخذ ابن عباس عن أبي الجلد بل أخذ أيضًا عن كعب الأحبار اليهودي ، وعبد الله بن سلام .
وإسلام هؤلاء اليهود رفعهم إلى درجة أهل العلم مما جعل ابن عباس لا يقتصر أخذه عن هؤلاء في مجال التوراة والإنجيل بل في مجال التفسير القرآني أيضًا ، لأن الناس رأوا في هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم في القرآن .

وقد التجأ إليهم ابن عباس لأنّهم أوتوا فهمًا في القران ، وعلمًا بالسنة ، على الرغم من التحذير الشديد من الالتجاء إليهم ، والأخذ عنهم . (١)

وقبل أن نناقش هذا الرأي أحب أن أضيف إلي رأي جولد زيهر رأي الأستاذ أحمد أمين في هذه القضية فما رأيه ؟

رأي الأستاذ أحمد أمين في قضية أخذ ابن عباس عن أهل الكتاب :

يؤيد " جولد زيهر " في ما ذهب إليه الأستاذ أحمد أمين في " فجر الإسلام " فهو يرى أن أهل الكتاب من اليهود كانوا منبعًا من منابع التفسير في عصر الصحابة ، " ذلك أن شغف العقول أو ميلها للاستقصاء دعاها عند سماع كثير من آيات القرآن أن تتساءل عمّا حولها ، فإذا سمعوا قصة كلب أصحاب الكهف ، قالوا : ما كان لونه ؟

---

(١) انظر المذاهب الإسلامية في تفسير القران : ٦٥ ـ ٦٧ .

وإذا سمعوا : (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا)[1] تساءلوا ما ذلك البعض الذي ضربوا به ؟
وما قدر سفينة نوح ؟
وما اسم الغلام الذي قتله العبد الصالح في قصة موسى معه ؟

ويسترسل الأستاذ أحمد أمين في ضرب الأمثلة من القرآن الكريم التي بالغوا في تتبّع ما تشير إليه بالتفصيل ، والاستقصاء ، ووجدوا أن أهل الكتاب عندهم علم ذلك ، فأخذوا منهم ما أخذوا ، يقول الأستاذ أحمد أمين :
« كانوا إذا سمعوا إشارة إلى بدء الخليقة طلبوا بقية القصة ، وإذا تُلِيَتْ عليهم آية فيها إشارة إلى حادثة لنبيّ لم يقتنعوا إلاّ باستقصائها »

وكان الذي يسدّ هذا الطمع هو التوراة ، وما علّق عليها من حواش وشروح ، بل وما أدخل عليها من أساطير ، وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام ، فتسرب منهم إلى المسلمين كثيرٌ من هذه الأخبار ، ودخلت في تفسير القرآن الكريم ، يستكملون بها الشرح ، ولم يتحرّج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس من أخْذ قولهم . روى النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا حدّثكم أهلُ الكتاب فلا تُصدّقوهم ولا تكذّبوهم "

ولكن العمل كان على غير ذلك ، وأنهم كانوا يصدّقونهم وينقلون عنهم " [2]

---

(١) البقرة : ٧٣ (٢) فجر الإسلام : ٢٠١

رأي ابن خلدون في الأخذ من أهل الكتاب في عصر الصّحابة

الواقع أن المستشرق " جولد زيهر " والأستاذ أحمد أمين في رأيهما أن بعض الصحابة وبخاصة ابن عباس أخذوا عن اليهود بعض التفاسير القرآنية : اعتمدا كل الاعتماد على رأي ابن خلدون من قبلهما فهو الذي أشار إلى هذا الأخذ في كتابه : " المقدمة " ولم يذكره ابن خلدون إلا ليبيّن أسباب هذا الأخذ ، وبيان العوامل التي حملتهم على هذا فهو يقول :

« والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأميّة ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكوّنات ، وبدأ الخليقة ، وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قَبلَهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى

وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلاّ ما تعرفه العامّة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمْيرَ الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلّق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع إلى الحِدْثان ، والملاحم ، وأمثال ذلك .

وهؤلاء مثل كعب الأحبار ، ووَهْب بن مُنبّه ، وعبد الله بن سلام وأمثالهم ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض ، أخباراً موقوفة عليهم " (١)

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ٤٠٤

مناقشة هذه الآراء :

القارئ للمقدمة يرى أن ما قرره ابن خلدون في هذا الأخذ من أول وهلة أنه متناقض مع ما ذكره قَبل هذا النص من أن الإسلام نهى عن الأخذ من الكتب السابقة ، لأن الإسلام جاء ناسخًا لها .

يقول ابن خلدون بصدد شريعة الإسلام إن : " كل ما قبلها من علوم المِلَل فمهجورة ، والنظر فيها محظورة ، فقد نهى الشرع عن النظر فِي الكتب المنزلة غير القرآن . قال صلى الله عليه وسلم : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » ، (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ)[1]
ورأي النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة ، فغضب حتى تبيّن الغضب في وجهه ، ثم قال : " ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لوكان موسى حيًا ما وسعه إلاّ اتباعي " [2]

والحقيقة أن ابن خلدون لم يكن متناقضًا ، لأن المنهي عن أخذه هو ما يتعلق بالعقيدة والأحكام والشريعة ، أما ما يتعلق بالقصص ، ولا علاقة له بما يمس تعاليم الإسلام من تشريعات وأحكام ، فقد رأى المفسّرون أن الأخذ عن اليهود في مجاله ما هو إلا معلومات قد تكون صادقة ، وقد تكون كاذبة ، ولا يترتب علي هذه المعلومات أو الأخبار ما يمس الشرع أو العقيدة ،

وقد أشار ابن خلدون نفسه إلى هذا ، ليتدارك ما يبدو على كلامه

---

(١) العنكبوت : ٤٦ (٢) مقدمة ابن خلدون : ١٠١

من التناقض فقال متحدثًا عن هذه المنقولات عن أهل الكتاب ما نصه

« فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبارًا موقوفة عليهم ، وليست مما يرجع إلى الأحكام ، فيتحرىّ فيها الصّحّة التي يجب بها العمل ، وتساهل المفسّرون في مثل ذلك ، وملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات » (١)

هذا وقد كفانا مئونة الرّد على جولد زيهر ، وأحمد أمين المرحوم الشيخ الذهبي حيث اتهّما ابن عباس بأنه لم يأبه بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأخذ من أهل الكتاب ، فقال يردّ هذا الاتهام :

" والحق أن هذا غلوّ في الرأي ، وبعد عن الصواب ، فابن عباس وغيره من الصحابة كانوا يسألون علماء أهل اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ، ولكن لم يكن سؤالهم عن شيء يمسّ العقيدة أو يتصل بأصول الدين أو فروعه ، وإنما كانوا يسألون أهل الكتاب عن بعض القصص والأخبار الماضية ، ولم يكونوا يقبلون كل ما يروي لهم على أنه صواب ، لا يتطرق إليه الشك ، بل كانوا يحكّمون دينهم وعقلهم ، فما اتفق مع الدين والعقل صدّقوه ، وما خالف ذلك نبذوه ، وما سكت عنه القرآن ، واحتمل الصدق والكذب توقّفوا فيه .

وبهذا المسلك يكون الصحابة رضوان الله عنهم قد جمعوا بين قوله عليه الصلاة والسلام :

« حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " وقوله : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »

فإن الأول محمول على ما وقع فيهم من الحوادث والأخبار ، لما فيها

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ٤٠٤ .

من العظة والاعتبار بدليل قوله بعد ذلك : « فإن فيهم أعاجيب » والثاني محمول على ما إذا كان المخبر به من قبلهم محتملاً ولم يقم دليل على صدقه ، ولا كذبه ، لأنه ربما كان صدقًا في نفس الأمر ، فيكون التكذيب به حرج ، وربما كان كذبًا في نفس الأمر ، فيكون في التصديق به حرج ، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا نهي عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه " (١)

وهذا الرد لأدلة هذا الاتهام اعتمد فيه المرحوم الشيخ الذهبي على ما نص عليه ابن حجر ، ونبهّ عليه الشافعيّ ، حيث ختم نصه بقوله : كما أفاده ابن حجر ونبه عليه الشافعيّ " (٢)

معنى هذا أن القضية أثيرت فيما مضى قبل أن يثيرها جولد زيهر أو المرحوم أحمد أمين ، وأن العلماء القدامى تناولوها بالدراسة والبحث ، والتوفيق بين ما تعارض من أحاديث ، وما اختلف من نصوص .

والحق الذي يقال في هذا الموقف : إن ابن عباس مهما كانت له جرأة علمية في تفسير القرآن الكريم ، فهي الجرأة التي لا تبعد عن روح الإسلام الذي يدعو إلى التفكير ، بل يحث على الاجتهاد ما دام هذا الاجتهاد موصولاً بالشريعة ، مرتبطًا بروحها ، ملتصقًا بأهدافها

ولا أدلّ على براءة ابن عباس من هذا الاتهام من رواية البخاري التي ساقها في صحيحه ، وهي تثبت في جلاء أن ابن عباس لم يفتح الباب على مصراعيه ليستقبل كل ما رواه أهل الكتاب ، وإنما إذا

---

(١) التفسير والمفسرون : ١ / ٧٢ ـ ٧٣ (٢) انظر فتح الباري : ٨ / ١٢٠ .

استقبل ، فإنما يستقبل ما هو متصل بالأخبار أو الأحداث ، التي لم يأخذها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي أحداث وأخبار لا ضير في أخذها ما دام المستقبل لها هو ابن عباس حَبْر هذه الأمة الذي يزن الأخبار بميزان العقل ، ويقبس الأحداث بمقياس الفكر ، ويستنتج من النصوص ما لا يخالف شرعًا ، أو يمس عقيدة ،

فبماذا تحدّث البخاري عن ابن عباس ؟

قال : " يا معشر المسلمين : تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيّه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله ، تقرءونه لم يَشِبْ ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : (هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً) [1] أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُساءلتهم ، ولا والله مارأينا رجلاً منهم قط يسألهم عن الذي أنزل عليكم " [2]

وبعد ، فنكتفي بهذا القدر من الحديث عن ابن عباس ، لنعرض أمثلة تبيّن جهده في تفسير غريب القرآن الكريم ، كما تبين جهد الصحابة الذين أسهموا في هذا المضمار . وهو قليل جدًا إذا ما قيس بما ورد لابن عباس .

وسأتناول أولاً عرض نماذج من تفسير الصحابة رضوان الله عليهم للغريب ، ثم نتبع ذلك بأمثلة ونماذج من تفسير غريب ابن عباس رضي الله عنه .

---

(١) البقرة : ٧٩ .

(٢) انظر صحيح البخاري شرح فتح الباري ٥ / ١٨٥ من كتاب الشهادات .

أولاً : نماذج من تفسير الصحابة لألفاظ الغريب :

أ ـ من تفسير عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

١ ـ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) [النساء : ٥١]

قال عمر : الجِبْت : السّحر ، والطاغوت : الشيطان .

٢ ـ (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) [التكوير : ٨]

قال عمر : النفوس زوجت : يزوّج نظيره من أهل الجنة والنار ثم قرأ : (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) [١]

ب ـ من تفسير عليّ كرم الله وجهه :

(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) [الذاريات :١]

قال عليّ كرم الله وجهه : الذاريات : الرياح .

جـ ـ من تفسير ابن مسعود :

١ ـ (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) [النحل : ١٢٠]

قال ابن مسعود : الأمة : مُعَلِّمُ الخير .

٢ ـ (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ)

[الدخان : ١٠]

---

(١) الصافات : ٢٢

عن عبد الله ابن مسعود قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى في الناس إدبارًا قال : " اللهم : سَبْع كسَبْع يوسف " فأخذتهم سَنَة حصَّت كلّ شيء حتى أكلوا الجلود ، والمَيتَةَ ، والجِيَف ، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع .

د ـ أبو الدرداء رضي الله عنه :

(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرحمن : ٢٩]

يفرج كربًا ، ويرفع قومًا ، ويضع آخرين .

هـ ـ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه :

(خُذِ الْعَفْوَ) [الأعراف : ١٩٩]

عن عبد الله بن الزبير قال : أمر الله بنبيّه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

و ـ زيد بن أرقم :

(وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) [البقرة : ٢٣٨]

عن زيد بن أرقم : إن كنا لنتكلم في الصلاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، يكلّم أحدنا صاحبه بحاجته حتى نزلت : (حافظوا على الصلوات) إلى قوله : (وقوموا قانتين) فأمرنا بالسكوت ، وقوموا لله قانتين مطيعين " (١)

---

(١) انظر في نماذج تفسير الصحابة : معجم غريب القرآن مستخرجًا من صحيح البخاري (عمر) : ٢٥ ـ ٨١ ـ ١٢٢ . (علي) : ٦٠ ، (ابن مسعود) : ٩ ـ ٥٤ (أبو الدرداء : ١٠١ (عبد الله بن الزبير) : ١٣٩ ، (زيد بن أرقم) ١٧٢

ثانيًا : نماذج من تفسير غريب ألفاظ القرآن الكريم لابن عباس

البخاري في صحيحه أورد كثيرًا من غريب ألفاظ القرآن الكريم لابن عباس وقد قام مشكورًا بتأليف : " معجم غريب القرآن " مستخرجًا من صحيح البخاري المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وفي هذا المعجم ما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة :

فمن النماذج التي نُسبت إلى ابن عباس في هذا المعجم ما يلي :

١ ـ (ائْتِيَا طَوْعًا) [فصلت رقم ١١]

قال ابن عباس : ائتيا طوعا : اعطيا .

٢ ـ (هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا) [مريم رقم ٧٤]

قال ابن عباس : أثاثا : مالاً .

٣ ـ (لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) [مريم : رقم ٨٩]

قال ابن عباس إدًا : قولاً عظيمًا .

٤ ـ (وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) [التوبة : ٦١]

قال ابن عباس أذن : يصدّق .

٥ ـ (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) [طه : ١٨]

قال ابن عباس : مآرب : حاجات

٦ ـ (وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا) [البقرة : ٢٨٦]

قال ابن عباس : إصرًا : عهدًا .

٧ـ (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) [الأنبياء : ٩٢]

قال ابن عباس : دينكم دين واحد .

٨ـ (وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ) [الرحمن : ١٠]

قال ابن عباس : الأنام : الخلق .

٩ـ (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) [الغاشية : ٢٥]

قال ابن عباس : إيابهم : مرجعهم .

١٠ـ (مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ) [الأحقاف : ٩]

قال ابن عباس : : لست بأول الرسل .

١١ ـ (بَادِيَ الرَّأْيِ) [هود : ٢٧]

قال ابن عباس : بادي الرأي : ما ظهر لنا .

١٢ (وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) [الإسراء : ٢٧]

قال ابن عباس : لا تبذر : لا تنفق في الباطل .

١٣ ـ (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ) . [الرحمن : ٢٠]

قال ابن عباس : برزخ : حاجز .

١٤ ـ (وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ) . [المؤمنون : ١٠٠]

قال ابن عباس : برزخ : حاجب .

١٥ ـ (الْبَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور : ٢٨]

قال ابن عباس : البَر : اللطيف .

١٦ ـ (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) [القيامة : ١٩]

قال ابن عباس : إن علينا بيانه : إنّ علينا أن تقرأه .

١٧ ـ (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [القيامة : ١٨]

قال ابن عباس : فإذا قرأناه فاتبع قرآنه : فاستمع له وأنصت .

١٨ ـ (تبيعًا) [الإسراء : ٧٩]

قال ابن عباس : تبيعًا : نصيرًا .

١٩ ـ (فَانفِرُوا ثُبَاتٍ) [النساء : ٧١]

قال ابن عباس : انفروا ثبات : سرايا .

٢٠ ـ (إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ) [السجدة : ٢٧]

قال ابن عباس : الجرز : التي لا تمطر إلا مطرًا لا يغني عنها شيًا .

٢١ ـ (لاَ جَرَمَ) [هود : ٢٢]

قال ابن عباس : لا جرم : بلى .

٢٢ ـ (فَجَاسُوا) [الإسراء : ٥]

قال ابن عباس : فجاسوا : تيمموا .

٢٣ ـ (والْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) [التوبة : ١١٢]

قال ابن عباس : الحدود : الطاعة .

٢٤ ـ (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ) [النساء : ٤٦]

قال ابن عباس : يحرفون : يزيلون .

٢٥ ـ (حَفَدَةً) [النحل : ٧٢]

قال ابن عباس : حفدة : مَن ولَد الرجُلُ .

٢٦ ـ (حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ) [الرحمن : ٧٢]

قال ابن عباس : حور : سود الحَدَق .

٢٧ ـ (مَّدْحُورًا) [الأعراف : ١٨]

قال ابن عباس : مدحورًا : مطروحًا .

٢٨ ـ (مِدْرَارًا) [نوح : ١١]

قال ابن عباس : مدرارًا يتبع بعضها بعضًا .

٢٩ ـ (أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ) [الأعراف : ١٤٣]

قال ابن عباس : أرني : أعطني . (١)

obeikandl.com

---

(١) انظر في هذه الكلمات الغريبة التي فسّرها ابن عباس : " معجم غريب القرآن مستخرجًا من صحيح البخاري " مرتبًا بحسب الجنور اللغوية لكل كلمة غريبة . ولم أذكر أرقام الصفحات للامتداء إلى أماكنها اكتفاء بالترتيب الأبجدي لهذه الجنور .

هذا وقد ساق السيوطي في كتابه : " الاتقان " نماذج من تفسير ألفاظ غريب القرآن لابن عباس ، والناظر إلى تفسير هذه الألفاظ يجد أنه في الغالب موجزٌ جداً ، وربما كانت الكلمة الشارحة على قدر الكلمة المشروحة ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

" يؤمنون "	يصدقون	البقرة : ٣ وغيرها
" يعمهون "	يتمادون	البقرة : ١٥
" شطره "	نحوه	البقرة : ١٥٠
" فلا جناح عليه "	فلا حرج	البقرة : ١٥٨
" أهل به لغير الله "	ذبح للطواغيت	البقرة : ١٧٣
" إن ترك خيراً "	مالاً	البقرة : ١٨٠
" جنفاً "	إثماً	البقرة : ١٨٢
" لا تكون فتنة "	شرك	البقرة : ١٩٣
" الفريضة "	الصداق	البقرة : ٢٣٦
" سكينة "	رحمة	البقرة : ٢٤٨
" حوباً كبيراً "	إثماً عظيماً	النساء : ٢
" نحلة "	مهراً	النساء : ٤
" وابتلوا "	اختبروا	النساء : ٦
" آنستم "	عرفتم	النساء : ٦
" رشداً "	صلاحاً	النساء : ٦
" لا تعضلوهن "	تقهروهن	البقرة : ٢٣٢
" طولاً "	سعة	النساء : ٢٥
" أخدان "	أخلاء	النساء : ٢٥
" العنت "	الزنا (١)	النساء : ٢٥

---

(١) انظر الإتقان : ١ / ١١٤

أقوال كلية منسوبة إلى ابن عباس في مجال الغريب :

هناك ألفاظ وردت في القرآن الكريم ، ولها معانٍ متعددة في كتب اللغة والمعاجم ، ولكنها تحمل معنى معينًا لا يتغيّر في كل موضع وردت فيه من القرآن الكريم .

وقد اهتم العلماء بجمع هذه الكلمات وحصرها لبيان معانيها القرآنية . وأول من فتح هذا الباب في بيان معاني هذه الألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده ، وابن أبي حاتم وغيرهما عن طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدريّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة »

(١)
قال السّيوطي معلقًا : « هذا إسناد جيد وابن حبان يصححه »
وقد سار على هذا الدرب ابن عباس رضي الله عنهما ، فمن أقواله الكلية ما يلي :

١ ـ عن ابن عباس قال : " كل شيء في القرآن " أليم " فهو الموجع "
٢ ـ وعنه : " كل شيء في القرآن " قتل " فهو لعنٌ .
٣ ـ وعنه : " كل تسبيح في القرآن صلاة ، وكل سلطان حجة .
٤ ـ وعنه : " كل شيء في القرآن " الدّين فالحساب .

ونكتفي بهذا القدر من تفسير غريب القرآن لابن عباس لننتقل إلى المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة التفسير اللغوي للغريب في عصر التابعين .

---

(١) معترك الأقران ٣ / ٥٦٧